طبعة مصححة ومحققة

سيرة أهل البيت عليهم السلام

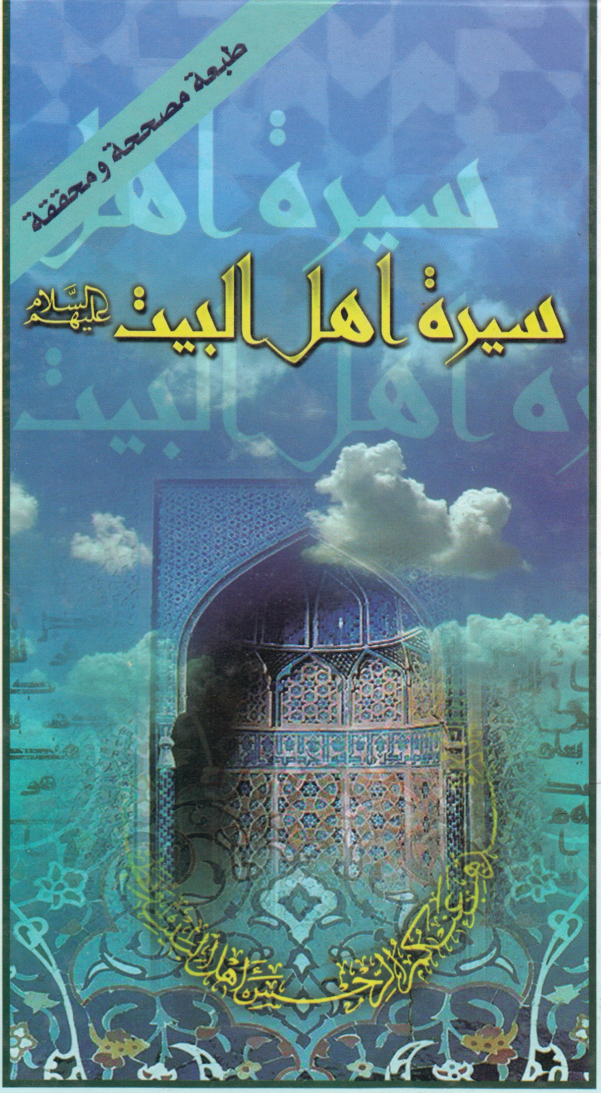

الاستاذ الشهيد

مرتضى مطهري

سيـــرة

أهل البيت عليهم السلام

(الائمّة الأطهار عليهم السلام)

تأليف:

مرتضىٰ المطهّري

شبكة الفكر

alfeker.net

ترجمة:

مالك وهبي

مراجعه و تقويم النص:

عبدالكريم الزهيري السيد أحمد باقر الموسوي

حقوق الطبع محفوظة

هوية الكتاب

● اسم الكتاب: سيرة اهل البيت عليهم السلام (الائمّة الأطهار عليهم السلام)

○ المؤلف: الشهيد مرتضىٰ مطهري

● المترجم: مالك وهبي

○ الناشر: منشور سيدي

● عدد المطبوع: ٢٠٠٠

○ المطبعة: ظهور

● الطبعة: الاولى ـ ١٤٢٦ هـ

○ الشابك: X ـ ٢٠ ـ ٨٣٨٦ ـ ٩٦٤

مراكز التوزيع:

١ ـ قم ـ پاساژ قدس، مكتبة الإمام الصادق عليه السلام ـ الهاتف: ٧٧٤٠٠٥٥، فاكس: ٧٧٤٤٧٠٦

٢ ـ بغداد ـ شارع المتنبي ـ مجمّع الزوراء ـ الطابق الأوّل ـ مكتبة أبي تراب ـ النقال: ٠٧٩٠١٧٧١٠١٣، الهاتف: ٤١٦١٣٩٧

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمٰن الرحيم

مقدمة شورى الإشراف على نشر آثار الأستاذ الشهيد مرتضى المطهري

يشتمل هذا الكتاب على مقدمة و ثمانية فصول يدور الحديث فيها حول سيرة الأئمة الاطهار و بشكل خاص من جهة كيفية التعاطي مع مسئلة الخلافة والحكومة.

و مقدمة الكتاب انتخبت من كتابات المفكّر الشهيد الأستاذ مرتضى المطهّري.

و أما الفصول الثمانية فهي عبارة عن جملة من البحوث و المحاضرات ألقاها هذا المفكّر الإسلامي العظيم في هذا المجال في أزمنة و أمكنة مختلفة.

فالفصل الأول محاضرة ألقاها بتاريخ ٣٠ـ٨ـ٤٩ هش الموافق ل ٢١ رمضان من عام ١٣٩٠ هش في حسينية الإرشاد تحت عنوان «المشاكل التي اعترضت علياً عليه السلام».

و الفصل الثاني عبارة عن محاضرتين ألقيتا في ربيع عام ١٣٥٠ هش حول صلح الإمام الحسن عليه السلام.

و الفصل الثالث بحث صغير عن الإمام زين العابدين عليه السلام عرضه الأستاذ الشهيد في ذيل بحث حول «خرافة الثالث عشر من فروردين» القاه باعتبار المناسبة الزمانية و ذلك في حسينية الإرشاد بتاريخ ١٣ ـ ١ ـ ١٣٤٩ هش الموافق[1] لـ ٢٥ محرّم من عام ١٣٩٠ هق.

و الفصل الرابع يشتمل على بحث حول «الإمام الصادق عليه السلام و مسألة الخلافة» ألقي ضمن محاضرتين في تلو بحوث حول «صلح الإمام الحسن عليه السلام و «مسألة ولاية العهد للإمام الرضا عليه السلام» و ذلك في المجمع الإسلامي للأطباء.

و الفصل الخامس محاضرة تحت عنوان «أسباب شهادة الإمام موسى الكاظم عليه السلام» ألقيت في حسينية الإرشاد بتاريخ ٤ ـ ٧ ـ ١٣٤٩ هش الموافق لـ ٢٤ رجب من عام ١٣٨٩ هق.

و الفصل السادس يتضمّن بحثاً عن مسألة «ولاية العهد للإمام الرضا عليه السلام» ضمن محاضرتين ألقيتا في المجمع الإسلامي للأطباء.كما أشرنا.

و الفصل السابع هو محاضرة ألقيت تحت عنوان «حديث حول الإمام الحسن العسكري عليه السلام» في مسجد الجامع بسوق طهران بمناسبة الذكرى السنوية لولادته عليه السلام و ذلك في سنة ١٣٥٤ هق.

و أما الفصل الثامن فهو عبارة عن محاضرتين حول الإمام المهدي عليه السلام الأولى بعنوان العدل الشامل ألقيت بتاريخ ٢٤ ـ ٧ ـ ١٣٤٩ هش الموافق لـ ١٤ شعبان

---

١ ـ فإن يوم ٢٥ محرم ذكرى وفاة الإمام زين العابدين عليه السلام فكان يوم ٢٥ مناسبة للحديث عن الإمام عليه السلام (المترجم).

١٣٩٠ هـ ق في حسينية الإرشاد. و الثانية بعنوان «المهدي الموعود» ألقيت في نفس المكان بفارق أسبوع.

و كما يعلم من اسم الكتاب ـ الذي اختارته شورى الاشراف على نشر آثار الأستاذ الشهيد. فهذا الكتاب يمّثل جولة في سيرة الائمة الاطهار عليهم السلام و من البديهي أن تدوين سيرتهم عليهم السلام بحيث يشتمل على جميع الأبعاد لهو عمل عظيم ويحتاج إلى مجلدات ضخمة قد تخرج عن قدرة فرد واحد.

نأمل في أن يساهم هذا الكتاب ـ الذي ينشر مع غياب الأستاذ الشهيد ـ في تبيين المعارف الإسلامية و خصوصاً التعرف على سيرة المعصومين عليهم السلام مع وضوح أنه لو كان الأستاذ حاضراً لكان قدّم الكتاب بصورة أكمل بدرجات، وأرقى.

١ / ٦ / ٦٧ هـ ش.

شورى الاشراف على نشر آثار الأستاذ الشهيد

الفصل السابع

كلمة حول:
الإمام الحسن العسكري عليه السلام

هذه ليلة ولادة الإمام العسكري عليه السلام، ليلة عيد، ليلة الإمام الحادي عشر، ليلة يجب على الجميع فيها تقديم التهنئة لصاحب الأمر عجل الله تعالى فرجه. طبعاً يجب أن نبرز المحبة ايضاً.

الإمام الحسن العسكري عليه السلام المقدس، من الأئمة الذين (تعرضوا لضغط شديد) و كلما اقترب عصر الأئمة (من عصر إمام العصر عليه السلام) كانت الأمور تزداد صعوبة عليهم عليهم السلام.

كان في سامراء التي كانت عاصمة الخلافة في ذلك الوقت. وقد انتقلت العاصمة من بغداد إلى سامراء في ايام المعتصم الذي بقي مدة في بغداد ثم عدل عنها وعلة ذلك أن جيش المعتصم كان يظلم الناس والناس تشكو منه ولم يكن يستمع المعتصم لشكواها في بادي الأمر و في النهاية أرضاهم فحتى يبعد جيشه عن الناس نقل مركز الخلافة الى سامراء.

اجبر كل من الإمام الهادي و الإمام العسكري عليه السلام على العيش في سامراء في

محلة تعرف باسم «العسكر» أو «العسكري»أي حيث يتواجد العسكر و في الواقع كانت معسكراً و قد اختير لهما عليهما السلام بيتاً يعيشان فيه في المعسكر و تحت المراقبة.

توفي الإمام العسكري عليه السلام و هو في سن ثماني وعشرين سنة (ووالده العظيم توفي بعمر اثنتين وأربعين سنة) و مدة أمامته كانت ست سنوات فقط و بنص التواريخ فقد قضى هذه السنين الستة إما في السجن و إما ممنوع عليه لقاء أحد، إذا لم يكن في السجن فلم يكن حراً في حياته ولو كان هناك احياناً ذهاب واياب او احياناً إذا طلبوا الإمام عليه السلام فإن ذلك يتم تحت المراقبة، كان الوضع عجيباً، تعلمون أن كل إمام من الأئمة عليهم السلام له صفة اكثر ظهوراً، و قد وصف الخواجه نصير في فصوله الستة كل إمام بوصفه الذي هو اكثر ظهوراً فيه، و قد تميز الإمام العسكري عليه السلام بجلالته وهيبته و حسن طلعته أي أن الجلال و الهيبة و العظمة كانت ظاهرة على محياه بحيث يقع تحت تأثيرها كل من يلتقي الإمام عليه السلام قبل أن يتكلم معه أو يعرف شيئاً عن علمه، و عندما يتحدث و يشرع في الحديث فهو كالبحر الزخار والحالة حينئذ واضحة، و في كثير من الحكايات والروايات ترى هذه المسئلة جليّة فحتى اعداءه الذين كانوا يتشددون في المراقبة و احياناً كانوا يأخذونه الى السجن عندما كانوا يقابلونه وجهاً لوجه كانوا يرون وضعاً عجيباً لم يكن يمكنهم إلا أن يخضعوا له، وفي هذا المجال ينقل المحدث القمي في كتاب (الأنوار البهية) عن احمد بن عبيدالله بن خاقان ابن وزير المعتمد على الله عن أبيه قصة و هو نفسه كان حاضراً فيها و هي قصة عجيبة تماماً ولامجال في هذه العاجلة لذكرها.

العلة الأساسية لجعل الإمام تحت المراقبة الشديدة أنه شاع أن مهدي هذه

الأمة من صلب هذا الموجود المقدس. فنفس العمل الذي قام به فرعون مع بني اسرائيل عندما سمع بانه سيولد في بني اسرائيل صبي يكون زوال ملك فرعون والفراعنة على يده، فقتل جميع اولاد بني اسرائيل وابقى على البنات و كان يأمر النساء بالتفتيش عن الحوامل، كل حامل تخضع للمراقبة، قام به جهاز الخلافة مع الإمام العسكري عليه السلام و ما احسن قول مولوي:

هجمت نحو حصن الغيب كي تسدّ الدرب عن رجال الغيب[1]

اولم يفكر هذاالأحمق انه إذا كان الإمر صحيحاً فهل يمكنه أن يقف في وجه الأرادة الإلهية؟ وفي كل مرة يرسل فرقة للتفتيش في بيت الإمام عليه السلام و بالخصوص عندما توفي الإمام عليه السلام إذ كان يصلهم احياناً خبر ولادة المهدي عليه السلام، و قد سمعتم بقصة ولادته عليه السلام فقد اخفى الله تعالى ولادة هذا الموجود المقدس ولم يلتفت احد ادنى التفات حين الولادة، كان عمر المهدي عليه السلام ست سنين عندما توفي والده وحين كان طفلاً، و كان خواص الشيعة الذين يأتون من كل مكان اليه يرونه، إلّا أن عامة الناس لم تكن تعرف إلا أن هذا خبراً انتشر اخيراً من انه قد ولد للحسن بن علي العسكري عليه السلام مولودٌ و قد أخفوه فكانوا يرسلون إلى بيته الرجال لعلهم يعثرون على المولود ليقتلوه، لكن افيمكن للعبد أن يمنع ما يريد الله حدوثه؟ أي عندما يكون القضاء الإلهي محتوماً في مورد فلا يمكن للبشر أن يفعلوا شيئاً إزاءه، و قد احاط الجنود بالبيت عندما توفي الإمام عليه السلام ـ و بعد وفاته ـ و فتشوا البيت

---

١ ـ بالفارسية:

حمله بردى سوى دربندان غيب تا ببندى راه بر مردان غيب

تفتيشاً كاملاً و قد ارسلوا امرأة جاسوسة حتى تراقب كل النساء إماءُ و غير إماء وترى إن كان فيهن حامل.

أم العسكري عليه السلام اسمها (حديث) عرفت باسم الجدَّة لأنها كانت جدة الإمام الحجة عجل الله تعالى فرجه. و هناك نسوة في التاريخ باعتبار انهن اشتهرن بأحفادهن يعرفن باسم الجدة، منهنّ جدَّة الشاه عباس ولدينا في اصفهان مدرستان باسم الجدّة. فالمرأة التي تشتهر بحفيدها تعرف قهراً باسم الجدة.

فهذه المرأة العظيمة عرفت باسم الجدة، إلا أن شهرتها ليست من مجرد كونها جدة الإمام الحجة عجل الله تعالى فرجه بل كانت ذات مقام، ذات عظمة، ذات جلالة كانت شخصيتها بحيث ذكروا ـ و ذكر ذلك المرحوم المحدث القمي رضوان الله عليه في (الأنوار البهية) ـ إنها كانت مفزع الشيعة، ملجأهم، وكان عمرها في ذلك الوقت ـ إذا لاحظنا أن عمر الإمام العسكري عليه السلام عندما توفي ٢٨ سنة و إذا لاحظنا عمر الإمام الهادي عليه السلام ـ بين الخمسين و الستين.

كانت في جلال و كمال بحيث أن أي مشكلة تعترض الشيعة كانت تعرض على هذه المرأة. يقول رجل ذهبت لزيارة عمة الإمام العسكري السيدة حكيمة بنت الإمام الجواد عليه السلام فتحدثت معها في العقائد والاعتقادات و مسألة الإمامة و غيرها ثم قالت الإمام فعلاً هو ابنه المخفي المستور. قلت: فإلى من نرجع في المشكلات و هو مستور قالت: يرجع إلى الجده قلت: عجباً مات مولانا ويوصي إلى امرأة؟ قالت قد قام العسكري بماقام به الإمام الحسين بن علي عليه السلام فقد كان الوصي الواقعي للإمام الحسين عليه السلام وفي الباطن علي بن الحسين لكنه اوصى في الظاهر إلى زينب عليها السلام فكذلك فعل الإمام الحسن بن علي العسكري. فوصّيه في الباطن

هذا الابن المخفي لكن في الظاهر، يمكن اعلان ذلك. فجعل الوصي الظاهري هذه المرأة ذات الجلال.

باسمك العظيم الأعظم الأعز الأجل الأكرم يا الله

الهي: هب لنا معرفة عظمة الإسلام والقرآن، الهي عرفنا عظمة النبي الأكرم وعظمة أهل البيت الأطهار وانر قلوبنا بانوار محبتك و معرفتك وأنر قلوبنا بانوار محبة و معرفة النبي وآل النبي وارحم واغفر لاموانتا.

الفصل الثامن: القسم الأوّل

العدل الشامل

بسم الله الرحمٰن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، بارىء الخلائق أجمعين، الصلاة والسلام على عبدالله ورسوله و حبيبه و صفيه و حافظ سره و مبلغ رسالاته سيدنا و نبينا و مولانا أبي القاسم محمد (صلى الله عليه وآله الطيبين الطاهرين).

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْئاً وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ﴾[1].

انما بعث الأنبياء من قبل الله تعالى إلى البشر لأجل هدفين أساسيين:

أحدهما: تحقيق العلاقة الصحيحة بين العبد و خالقه، بين العبد والرب و بعبارة

---

١ ـ سورة النور الآية ٥٥.

أخرىٰ منع البشر عن عبادة غير الله ويتلخص ذلك في الكلمة الطيّبة (لا إله إلاّ الله).

الهدف الثاني: الذي لأجله أرسل الله تعالى الأنبياء العظام، تحقيق الروابط الحسنة والسليمة بين البشر، بعضهم مع الآخر على أساس العدالة والصلح و الصفاء و التعاون والاحسان والمحبة و خدمة كل منهم للآخر.

و قد صرّح القرآن الكريم بهذين الهدفين للأنبياء كمال التصريح.

فبالنسبة إلى الهدف الأول قال عن خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله: ﴿يَـٰأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً * وَدَاعِياً إِلَى اللهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُّنِيراً﴾[1] ويقول عن الهدف الثاني: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَـٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَـٰبَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾[2]. فانظروا إلى صراحته في بيان ما اهتم به الأنبياء ـ بل ما أمر به الأنبياء و أرسلوا به ـ أي إقرار العدل بين البشر. فهو يقول في هذه الآية أرسلنا رسلنا بالدلائل و أنزلنا الكتاب و الدستور مع الميزان أي القوانين و التشريعات العادلة من أجل ماذا؟ ﴿لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ حتى يتعامل البشر بالعدالة وتقر العدالة بين أفراد البشر. و بناء على هذا فمسألة اقرار العدالة حتى بالمقياس البشري هدف أصلي و عام لكل الانبياء أي ان الذين أتوا لهم عمل، عندهم وظيفة و رسالة هي العدالة بنص القرآن المجيد.

أمر آخر يجب ذكره هنا و هو: هل ان مسألة العدالة والمراد بها العدل العام

---

١ ـ سورة الأحزاب الآيتان: ٤٥، ٤٦.

٢ ـ سورة الحديد الآية ٢٥.

الشامل ـ لا العدل النسبي والفردي و الشخصي ـ أي العدالة بمعنى ان يأتى يوم في هذه الدنيا لا أثر فيه لهذا الظلم والتفرقة والحروب والنفور والأحقاد وسفك الدماء والإستغلال و لوازم هذه الأمور من أكاذيب و نفاق و خدع و بالجملة ان لا يكون بين البشر أثر لهذه المفاسد، هل سيكون للناس مثل هذا اليوم؟

هل سيكون للبشر في مستقبلها مثل هذا العصر، مثل هذا القرن؟ أم لا وليس ذلك إلّا مجرد خيال و أمل لن يحدث في أي وقت من الأوقات، وهل يمكن لشخص ذي ذوق ديني مذهبي ـ طبعاً هذا المعنى يصدق في غير الشيعة ـ أن يقول: لست منكراً للعدالة الشاملة و لست من أنصار ان تبنى الدنيا على أساس الظلم إلاّ انني أعتقد ان هذه الدنيا دنيّه و حقيرة، مظلمة حالكة، بحيث لا مجال لان يكون في الدنيا عدل عام، عدالة واقعية و صلح و صفاء واقعيين و إنسانية واقعية ولن يأتي يوم يكون فيه الأفراد واقعاً يعيشون مع بعضهم البعض بإنسانية فالدنيا دارالظلم و الظلمات و كل الظلم سيعوّض عنه في الآخرة، العدالة محلها الآخرة؟

هذه الفكر موجودة عند غير المسلمين من الأديان الأخرى. و من المميزات المهمة للمعتقدات الإسلامية و بالأخص في نظرة الشيعة للإسلام ـ هي هذه: عدم التشاؤم فعصر الظلم و الجور، عصر الحرب والصراع، عصر الإختلاف، عصر الفساد الأخلاقي، عصر الظلمة والسواد عصر مؤقت و العاقبة نور وعدالة. ولو فرض وجود ذلك (الإرشاد) في الأديان الأخرى إلّا انه ليس بهذا الوضوح الذي نجده عند الشيعة قطعاً ولن تجده في أي مكان.

إذن هنا مطلب هو ان مستقبل البشرية في هذه الدنيا التي هي زينة و متاع سيشهد أفول الظلم و ظهور العدالة، ولو ان الإنسان يتأمل في الدرجة الأولى

بالقرآن الكريم سيرى ان القرآن يؤيد و يؤكد على ذلك المعنى و يرى فيه تفاؤلاً بمستقبل الدنيا. والآيات كثيرة في هذا المجال منها هذه الآية التي قرأتها في بداية حديثي:

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْئاً﴾.

يعد أهل الإيمان والذين يعلمون الصالحات ان عاقبة الدنيا تحت يدهم والذي سيحكم في نهاية الأمر هذه الدنيا الدين لإلٰهي و كلمة (لاإلٰه إلّاالله) و سيفنى الماديون و طلاب المادة و محبي النفس، عاقبة الدنيا أمن ﴿وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً﴾ و آخر الدنيا توحيد بكل مراتبه.

و من هنا نستفيد من القرآن المجيد مطلبين:

أحدهما: ان الهدف الأساسي لبعثة الأنبياء أمران: التوحيد و اقرار العدالة والأول مرتبط بعلاقة الإنسان مع الله والثاني مرتبط بعلاقة الناس بعضهم مع البعض الآخر.

الثاني: أن مسألة العدالة ليست مجرد أمل و خيال، بل هي أمر واقعي تتحرك الدنيا باتجاهه أي إنها سنّة إلٰهية والله قضى ان العدالة ستحكم في النهاية هذه الدنيا و سيحكم البشر على الدنيا قروناً و قروناً ـ ولا ندري مقدارها ولعله ملايين السنين ولعله مئات الملايين ـ لكن بشراً راشداً، بشراً إنسانياً واقعاً، لا يوجد فيهم أيٌ من هذه المظالم والكدورات.

بحثنا في هذه الأمر من ان العدل العام سيتحقق في الدنيا و بشكل خاص في

جهة من جهاته و هي: ان الإسلام عندما يدعي ان العدل الشامل سيتحقق فعلى أي أساس يستند في دعواه؟ و من هنا سنفصل في ثلاثة موضوعات:

أحدها: ان العدالة ما هي؟

ثانيها: هل في الخلقة والفطرة البشريتين ميل لوجود العدالة أم ان الفطرة البشرية خالية من هذا الميل من الأساس؟ ففي أي وقت تعطى العدالة للبشر وستعطى فهو اكراه و اجبار، و من المحال ان تلجأ البشرية إلى العدالة بميلها ورضاها؟.

ثالثها: هل ان العدالة أمر عملي أم لا؟ و ان كانت عملية فكيف تصير كذلك؟.

تعريف العدالة:

المسألة الأولى في ماهية العدالة: ولعلها غنية عن التوضيح إلى حد ما، فالناس يعرفون الظلم بنحوٍ أو بآخر فالعدالة هي ضد الظلم ضد التمييز بلا حق. و بعبارة أخرى ان أفراد البشر في هذه الدنيا بمقدار ما عندهم من إستعدادات و فعاليات وحسب فطرتهم يمتلكون جملة من الإستحقاقات، والعدالة عبارة عن اعطاء هذا الإستحقاق و هذا الحق الثابت لكل فرد بموجب خلقتة و بموجب عمله و قدرته. فهي في الجهة المقابلة للظلم الذي يعني عدم اعطاء ذي الحق حقه وسلبه منه، وفي الجهة المقابلة للتمييز الذي يحصل بين شخصين متكافئين إذ يُضيَّق على موهبة أحدهما دون الآخر.

و في نفس الوقت كان في القديم رجال بين البشر من فلاسفة اليونان القدامي حتى العصور الاوروبية ينكرون وجود واقعي للعدالة و يقولون لا معنى للعدالة

أصلاً، والعدالة تساوي الإكراه، العدالة هي ذلك الشيء الذي يحكم بـه القـانون الموجود.

والقانون الموجود هو ذلك الفرض الذي فرض على البشر فالعدالة إذن تعينها القوة، ولا أريد التحدث عن هذا الأمر إذ هذا سيعطل عليّ بحوثي. ولكنه كلام غير صحيح فللعدالة واقعية، لان للحق واقعية فمن أين هذه الواقعية للحق؟ الحق يثبت بالخلقة ولأن الخلقة واقعية وكل موجود بفطرته له قابلية و استحقاق والإنسـان بقدرته و نشاطه يملك حقوقاً، والعدالة التي هي عبارة عن اعطاء كل ذي حـق حقه، يتحقق معناها. و تلك الكلمات كلمات خيالية.

هل ان طلب العدالة فطري؟

المسألة الثانية تحتاج إلى بحث أكثر نسبياً و هي: هل أن في فطرة البشر حب للعدالة أم لا؟ فالبشر يطلبون أشياء بحكم طبعهم و فطرتهم، أي لا دليـل (عـلى ارادة تلك الأمور) إلاّ البناء البدني والروحي، مثلاً أنتم تشتركون في هذه الجلسة المحترمة و تقرأون هذه الكتابات الجميلة و ترون هذه الـ(لاإله إلّاالله) في الوسط وفي جهة اليمين (محمد رسول‌الله) وترون في جهة اليسار (علي وليّ‌الله) وترون نجمة سوداء للدلالة على المعصومة الكبرى فاطمة الزهراء سلام‌الله عليها وترون أيضاً أسماء المعصومين الاثني عشر وترون الآيات القرآنية وكلها شعائر إسلامية ترون كلام النبي صلى الله عليه وآله وترون كلام أميرالمؤمنين عليه السلام وترون كلام الإمام الحسين عليه السلام وكل منها يقارنها شيء مخصوص، وترون الشكل الكاشي[1] الجـميل. وتـرون

---

١ ـ آجر ملون مطبوخ واللون قد يكون أزرقاً أو أخـضراً أو أبـيضاً كـما يـرى فـي المـقامات أحياناًوفي القبب أحياناً أخرى (المترجم)

الخط الجميل فتسرون بذلك و تستأنسون. لماذا؟ ومن الذي أجبركم على ان تكونوا مسرورين؟ لم يُجبر أحد. فلأنه جميل سررتم به ففي خلقة كل إنسان يوجد مثل هذه القوة بأن يحسَّ الجمال و هذا لا يحتاج إلى قانون يوضع أو يفرض بالقوة على الإنسان.

هذا في فطرة الإنسان، وأمثال هذه الأمور يقال لها أمور فطرية. حب العلم وأمور كثيرة أخرى هي فطرية. فهل ان الميل نحو العدالة أي الميل إلى العدالة وحب عدالة الآخرين ولو لم يحصِّل المرء أي منفعة، و بعبارة أخرى ميل إلى عدالة البشر و عدالة المجتمع بغض عن أي منفعة للإنسان في العدالة، هل هو من جملة ما يطلبه البشر و مقتضى الفطرة البشرية أم لا؟

رأي نيتشه وماكيافيلي:

تعتقد جماعة عدم وجود مثل هذه القوة أساساً في الفطرة البشرية وأكثر فلاسفة أوروبا يعتقدون بذلك و هؤلاء الفلاسفة قد أحرقت الدنيا أفكارهم في نهاية الأمر، يقولون إن العدالة اختراع الشعوب الفقيرة فعند ما يواجه هؤلاء الفقراء الضعاف، الأقوياء و حيث لا يملكون القوة لمواجهتهم اخترعوا كلمة العدالة واستحسنوا العدالة وألزموا الإنسان ان يكون عادلاً. هذه الكلمات جوفاء والدليل على ذلك أن هؤلاء المؤيدين للعدالة لو ملكوا القوة فإنها سيقومون بما قام به الأقوياء الذين سبقوهم، يقول الفيلسوف الالماني المعروف نيتشه: «كثيراً ما حدثت أمور أضحكتني، عندما كنت أرى الضعفاء يتحدثون عن العدالة و طلبها أتأمل فيهم فأرىٰ أن هؤلاء انما يتحدثون بالعدالة لانهم لا يملكون القبضة فأقول

له أيها المسكين لو كنت تملك القبضة لم تكن لتنطق بهذه الكلمات على الإطلاق».

و هؤلاء الذين لا يعتقدون ان العدالة إحدى الأمور الفطرية على فرقتين:

إحدهما: تقول العدالة لا ينبغي التوجه إليها والسعي نحوها حتى بعنوان إنها أمل، على الناس ان تتحرك باتجاه القوة و القدرة. العدالة كلام فارغ لا تتأملوا بها ولا تسعوا نحوها أصلاً. وليكن سعيكم نحو القوة فقط و عندهم مثل يناسب تعبيراتنا و خلاصته: ١٦/٢ ذراع من الغصن أولى من متر من زهر الفاكهة[١] (والقوة هي الغصن والعدالة هي الزهر) ان نلت الغصن فماذا تعني العدالة؟ تحرك نحو القوة. و نيتشه وماكيافيلي من هؤلاء الأشخاص.

رأي برتراند راسل:

إلّا ان جماعة أخرى لا يقولون بذلك بل يقولون. لا، يجب السعي نحو العدالة لكن لا على أساس إنها مطلوبنا بل على أساس ان مصلحة الفرد في عدالة المجموع. وهذا هو رأي برتر اند راسل وهو ـ مع هذا الرأي ـ يدعي انه محب للإنسان أيضاً. حيث ان فلسفته تقتضي ذلك فليس له إلا أن يقول ذلك، يقول: الإنسان بحسب طبعه الذي جبل عليه يطلب مصلحته وهذا هو الكلام و لا كلام غيره فكيف يسعى لتحقيق العدالة؟ أنقول للبشر: يا أيها البشر اطلبوا العدالة؟ وهذا لا محيص معه عن القوة، إذ طلب العدالة ليس أمراً فطرياً، وكيف يمكننا ان نطلب

---

١ ـ المثل في الفارسية دو گره شاخ بريك ادم ترچيح دارد: والـ «گره مقياس وحدته ١٦/١ من الذراع».

من الناس بالقوة طلب العدالة؟ لكن هنا طريق آخر وهو ان نقوي العقل والعلم والمعرفة عند البشر حتى نصل إلى مرحلة نقول للبشر بشر، صحيح أن الأصالة للمنفعة وأنت لا تريد إلا منفعتك الشخصية لكن المنفعة الشخصية انما تنال بواسطة العدالة الإجتماعية، لولا هالا يمكن تأمين منفعة الفرد، و صحيح انك بحكم طبعك تريد الإعتداء على جارك الاّ انك إذا تعديت عليه سيعتدي عليك، فبينما أنت تريد تحصيل منفعة أكثر فإذا بك تنال منفعة أقل، إذن فكر بتلك ووازن الأمور فتفهم ان مصلحتك الفردية أيضاً في العدالة.

فهؤلاء يعتقدون بالعدالة إلاّ ان طريق تحصيلها هو تقوية الفكر والعلم والمعرفة، أي ان يدرك البشر ان المنفعة الفردية في العدالة الإجتماعية.

نقد هذه النظرية:

ومن الواضح أنها نظرية غير علمية لان ذلك انما يصدق في حق أفراد لا قوة لديهم و يمكن أن يصدق ذلك في حقي أنا الرجل الضعيف فعندما أخاف من جيراني و أرى أن قوتي بحجم قوة جيراني أصبح عادلاً خوفاً من قوتهم، لكن في الساعة التي أمتلك فيها القوة بحيث لا يكون عندي أي خوف من الجيران و أكون على يقين تام انني إن ضربت جاري فليس من قوة تقف في وجهي فكيف سأكون عادلاً حينذاك؟ وكيف يمكن لعلمي ان يصيّرني عادلاً؟ لانك يا صاحب السماحة تقول ان البشر يطلبون منفعتهم والعلم يقول: كن عادلاً لأجل منفعتك وهذا انما يكون عندما أرى قوة تواجهني أما عندما لا تكون أية قوة تواجهني فكيف أكون عادلاً؟ ولذا فإن فلسفة راسل ـ خلافاً لكل الشعارات عن حبه للإنسان ـ تعطي

الحق لكل الأقوياء وذوي القوة العليا ان يظلموا الضعفاء الذين لا خشية منهم.

رأي الماركسية:

هنا فرقه ثالثة يمكن اعتبارها من الفرقة الثانية فهي تقول: العدالة أمر واقعي لكن ليس عن طريق الإنسان، لا يمكن للإنسان ان يقيم العدالة، وليست هي من عمل الإنسان، لا مجال لأن يربّى الإنسان حتى يطلب العدالة واقعاً بكل روحه و لا لأن يحصلها عن طريق تنمية العلم والعقل البشريين، العدالة انما تطلب من الآلة لا الإله، العدالة تطلب من الوسائل الإقتصادية و بعبارة أوضح لا يجوز ان تطلب، لا علاقة لكم بها، لا يمكنكم السعي نحو العدالة، وإذا اعتقدت انك تصير طالب عدالة فهذا خطأ، أنت أصلاً لست طالباً لها، وإذا اعتقدت أن عقلك سيهديك يوماً إلى العدالة فهذا خطأ ايضاً، لكن الآلة تأخذ بالبشرية شيئاً فشيئاً نحو العدالة مع التحولات التي تطرأ على الوسائل الإقتصادية والإنتاجية ـ ضمن معايير وضعوها لأنفسهم و كثير منها غلط، لم يتدبروها ـ تصل إلي الرأسمالية، ثمّ شيئاً فشيئاً إلى الإشتراكية حيث تفرض العدالة والمساواة قهراً بحكم الآلة، شئت أم أبيت فلست الذي يحقق العدالة فتأتي وتفكر هل عقلي يدعوني إلى العدالة؟ وهل تربيتي تشدني إلى العدالة؟ ويقولون: هذا الكلام خاطىء.

رأي الإسلام:

أمّا الرأي الثالث: ـ وباعتبار آخر الرأي الرابع[1] ـ الموجود في هذه المسألة

---

١ ـ أي ان جعلنا الرأي الماركسي رأياً ثالثاً فهذا هو الرأي الرابع وان ادخلناه في الرأي الثاني كان ثالثاً. (المترجم)

فيقول: هذه الأفكار كلها نوع من سوءالنظر إلى الطبيعة والفطرة البشرية وان كنت ترى البشرية اليوم تهرب من العدالة فذلك لانها لم تصل إلى مرحلة الكمال. العدالة فطرية فإذا تربّى البشر جيداً في ظل رجل مرّبٍ كامل سيصلون إلى حيث يطلبون العدالة واقعاً ويرجّحون العدالة الإجتماعية على المنفعة الفردية فكما ان البشرية تحب الجمال فكذالك هي محبة للعدالة، العدالة من مقولة الجمال المعقول لا الجمال المحسوس، ثم يأتون[1] بدليل فيقولون: في عقيدتنا التي هي عقيدة دينية لدنيا دليل على المطلب هو: أنكم الذين تقولون: أن البشرية لا تطلب العدالة بحسب فطرتها والعدالة تفرض عليها فرضاً أو تقولون: عليها أن تصل بعقلها إلى ان تدرك ان منفعتها في ذلك، أو تقولون ان (تكامل) وسائل الإنتاج (تحققها شيئاً فشيئاً). لكن لدينا موارد نرشدكم إليها حيث نجد أفراداً عادلين و طلاب عدالة مع ان منافعهم لا توجب ذلك و كانت العدالة فكرتهم وهدفهم وأملهم على خلاف منافعهم الفردية بل كانوا يحبونها كمحبوب و يضحون بأنفسهم في سبيل تحقيقها، وهؤلاء نماذج كمَّل من البشر في العصور الماضية وهذه النماذج دلّت على ان البشر يمكنهم ان سيلكوا درب العدالة حتى يصلوا إلى رتبتها وعلى الأقل يمكن للبشر ان يصيروا نموذجها الصغير.

علي بن أبي طالب عليه السلام من تلك النماذج التي تبطل تلك الفلسفات كلها، علي عليه السلام ويد علي الربانية وجماعة كثيرة من أفراد البشر وجدوا في كل العصور. ونحن عندما نذكر أميرالمؤمنين عليه السلام مثلاً، قد يظن البعض ان علياً عليه السلام فرد واحد، لا ليس

---

١ ـ أي أصحاب الرأي الإسلامي. (المترجم)

الأمر كذلك، فالآن يوجد بين المؤمنين الواقعيين الكثير ممن عندهم حب للعدالة واقعاً و فطرتهم مرتبطة بالعدالة، وأي ارتباط؟ وكذلك سيكون البشر في العصور الآتية.

يتخيل الكثير من البشر ان مسألة ظهور الحجة (عجل‌الله تعالى فرجه) أمر ملازم لا نحطاط الدنيا وتقهقرها والقضية عكس ذلك فإن كل الشواهد والأدلة التي وصلتنا من الدين تدل على إنها مساوية للرقي الفكري والأخلاقي والعلمي‌البشري، وهذا الدين الذي ذكر لنا موضوع ظهور الحجة والعدل التام قد ذكر لنا هذه الأمور أيضاً ففي حديث في أصول الكافي انه عندما يظهر الإمام الحجة فإن الله تعالى يبسط يده فوق البشر ويرقىٰ عقل أفراد البشرية ويزداد فكرهم وعلمهم، عندما يظهر وجوده المقدس فلا وجود بعدُ للذئب و الغنم في الدنيا حتى ان الذئاب التي تعيش في الصحاري؟ أم الذئاب البشرية. أي ان الذئب يتخلى عن طبيعة الذئبية وننتزع منه.

و قبل ان أذكر قسماً من القرائن الكثيرة الأخرى عن وضع زمان الإمام الحجة عليه السلام يجب ان أذكر مسألة مهمة وهي:

مسألة عمر الإمام الحجة عليه السلام:

فكثير من الناس عندما يطرحون موضوع الإمام الحجة عليه السلام يقولون: هل يمكن لبشر ان يعيش ١٢٠٠ سنة؟ هذا خلاف قانون الطبيعة. هؤلاء يتخيلون ان جميع الأمور التي حدثت في هذه الدنيا متلائمة تمام الملاءمة مع قوانين الطبيعة العادية ـ يعني تلك القوانين التي يعرفها العلم اليوم ـ أصلاً كل التحولات الكبرى في

تاريخ حياة عموم الموجودات الحية ـ من نبات و حيوان ـ التي حدثت كلها تحولات غير عادية، فهل ان أول نطفة حية التي وجدت على الأرض مطابقة لأصول علوم حياة؟ ومع أي قانون طبيعي تنسجم أول حياة وجدت على هذه الأرض؟ وبناء على فرضيات اليوم العلمية وفي نظر علم اليوم المسلم به ان عمر الأرض يتجاوز حدود الـ ٤٠ مليارد سنة و منذ مليارات السنين كانت أرضنا كرة مذابة بحيث كان يستحيل ان توجد عليها أرواح تحيا، وبناءً على التخمينات العلمية مضت مليارات السنين حتى وجد أول ذي روح على الأرض، و علم اليوم يقول أنّ ذا الروح انما يوجد من ذي روح ولا يمكنه ان يفيد ان ذا الروح يوجد من غير ذي روح. والعلم لم يستطع إلى الآن أن يعطي جواباً عن مسألة وجود أول ذي روح على الأرض، يعني ذلك التحول الكبير الأول وتلك النطفة الأولى للحياة التي ارتبطت بالأرض، كيف ارتبطت؟

ثم يقولون أن أول نطفة محياة وأوّل خلية عندما توجد تتكامل فتصل إلى مرحلة تتحول إلى عنصرين: العنصر النباتي والعنصر الحيواني أضيف إليهما مشخصات أخرى حيث تكون بعض أقسامها ضد بعضها البعض وأحدها يكمل الآخر وهذا من العجائب: فإذا لم يكن نبات فلا حيوان ولو لم يكن الحيوان فلا نبات وبشكل خاص من جهة الأخذ والعطاء عبر البخار المنتشر في الفضاء.

والعلم لم يستطع إلى الآن بيان ان هذه المرحلة التي هي مرحلة تحول كبير في الحياة، كيف حدثت؟ وكيف وجد عنصر النبات وكيف وجد عنصر الحيوان؟ وكذلك الأمر في المراحل الأخرى لوجود الإنسان، وجود موجود بهذه القدرة وهذا العقل و الفكر والإرادة والإختيار أفاستطاع العلم إلى الآن ان يبين هذا؟

وهل أمر الوحي أمر عادي؟ وهل أن نفس الوحي الذي ينزل على بشر يعطيه الأوامر مما وراء الطبيعة أضعف من مسألة ان يحيا شخص مدة ١٣٠٠ سنة[١] بل هذا أمر عادي طبيعي، شيء تسعىٰ إليه البشرية الآن ولعل له قانونه الطبيعي البشرية اليوم تتحرك نحوه و تسعى لتهيئة الوسائل ـ بأدوية خاصة أو تركيبات خاصة ـ كي يطول عمر البشر. فلا يمكن لأحد ان يقول إنّ قانون الطبيعة يقتضي ان يعيش البشر ١٠٠ سنة أو ١٥٠ أو ٢٠٠ سنة أو ٥٠٠ سنة، صحيح ان خلايا البدن الإنساني لها دورتها الحياتية إلاّ أن هذا ضمن شرائط خاصة محدودة. فلعله يأتي اليوم الذي يمكن فيه من خلال وسيلة صغيرة جداً تطويل عمر البشر إلى ٥٠٠ سنة. وهذا ليس أمراً يشك فيه الإنسان بل هو عادي أكثر ممّا هو عادي وحدث في دنيا الحياة.

والله تعالى دائماً يدلنا على ان وضع الدنيا سيصير إلى مراحل فكأن يداً تخرج من عالم الغيب ويحدث تحول فجائي، ويحصل وضع غير قابل لملاحظته مع قانون الطبيعة.

وبناءً على هذا، فهذا الموضوع لا بحث فيه بحيث يفكر فيه الإنسان أو يبتلىٰ والعياذ بالله في بلاء الشك والترديد. وعالم الدين انما هو لأجل ان يفتح عين الإنسان ويخرج فكر الإنسان معه عن الحوادث والمجريات العادية المحدودة.

ففي ذلك العصر ـ الذي ذكرت وهو عصر تكامل العلم والعقل والأخلاق والمجتمع ـ ماذا سيحصل؟ أذكر قسماً كأنموذج لذلك.

---

١ ـ هنا ذكر ١٣٠٠ سنة وتقدم ١٢٠٠. (المترجم)

مميزات عصر الإمام المهدي عليه السلام:

هذه الجملة قد تواترت عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله باتفاق علماء أهل السنة والشيعة. ولم يتردد أحد في ان النبي الأكرم صلى الله عليه وآله قال:

لو لم يبق من الدنيا إلاّ يوم واحد لطوّل الله ذلك يوم حتى يخرج رجل من ولدي.

والمقصود منه ان هذا قضاء إلهي حتمي بحيث لو فرضنا انه لم يبق من عمر الدنيا إلاّ يوماً واحداً فأن هذا القضاء واقع لا محالة. وهذه رواية قد رواها كل من أهل الشيعة وأهل السنة ولا شك فيها.

كان بعض الأصدقاء يتعجب عندما يرى أخانا الحجازي الشيخ خليل الرحمٰن[1] دائماً يتحدث عن انتظار ظهور الإمام الحجة إذ أنه لم يكن شيعياً فكيف يؤمنون بمسألة انتظار ظهور الحجة؟ فهم واقعاً عندهم انتظار ظهور الحجة وأغلبنا يقول ذلك على أساس العادة والبيئة التي يعيشها اما هم فعلى أساس الإعتقاد والإيمان يقولونها. فقلت: ليس في هذا الأمر سنّة و شيعة فإن أهل السنّة يتكلمون كثيراً بهذا الكلام.

الآن انظروا كيف يبيّن ذلك اليوم؟ وكيف أنه يرى ذلك اليوم عصر كمال البشرية؟ فهو صلى الله عليه وآله يقول: «المهدي يبعث في أمتي على اختلاف من الناس وزلزال» (وليس المقصود الزلازل الأرضية) في الأصل الأرض تتزلزل بأيدي الناس

---

١ ـ من قراء القرآن حيث دعي من قبل حسينية الإرشاد.

وتهدد البشرية بأن لا أرض وتفنى «يملأ الأرض قسطاً و عدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً. يرضى عنه ساكن السماء وساكن الأرض» أي يرضى عنه إله السماء و خلق إله السماء والناس الذين هم على الأرض فيقولون: الحمدلله الذي نجانا من شر هذا الظلم ثم يقول صلى الله عليه وآله: «يقسّم المال صحاحاً» قالوا: يا رسول الله وكيف يقسمها صحاحاً؟ قال: «بالعدل والسوية». «ويملأ الله قلوب أمة محمد غنى ويسعهم عدله»[1] أي لا نتوهم أن المقصود خصوص الثروة المادية، يصبح الغنىٰ في القلب والفقر والحاجة والحقارات والمسكنة والأحقاد والحسد تزول كلها من القلوب.

يقول أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة:

«حتى تقوم الحرب بكم على ساق، بادياً نواجذها، مملوءة أخلافها، حلواً رضاعها علقماً عاقبتها» فهو عليه السلام يتنبأ بما قبل الظهور بفتنة عجيبة وحروب كثيرة مهيبة وخطرة في الدنيا فتقف الحرب على قدمها وتبدي نواجذها كحيوان مفترس وتبرز حليب ثديها فينظر مسعروا نار الحرب لثدي الحرب فيرون حليبها حلواً أي في نفعهم لكنهم لا يعلمون ان عاقبة هذه الحرب في ضررهم.

فرضاعها حلو لكن عاقبتها علقم «ألا وفي غدٍ، وسيأتي غدٌ بما لا تعرفون ـ أي هذا حاصل في غدٍ وسيأتي بما لا تعرفون ـ يأخذ الوالي من غيرها عمالها على مساوىء أعمالها» وأول عمل يقوم به الوالي الإلهي ان يأخذ العمَّال والحكام

---

١ ـ أعلام الورى، ص ٤٠١.

واحداً واحداً ويصلح أعوانه وتصلح الدنيا «وتخرج له الأرض أفاليذ كبدها» أي ان الأرض تُخرج ما عندها من طاقات من معادن وكل ما يمكنكم تصوره «وتلقي إليه سلماً مقاليدها» أي وتسلم له مفاتيحها كغلام حالة الإستسلام يسلم مفاتحه (كل هذه كنايات) أي لا يبقى في الطبيعة سر الا وينكشف في ذلك العصر «فيريكم كيف عدل السيرة» سيريكم في ذلك الوقت معنى العدالة الواقعية وان كل هذه الأحاديث التي ينطقون بها عن الصلح وبيانات حقوق البشر والحرية، إن هي إلّا كذب ونفاق (يعرض القمح ويبيع الشعير) «ويُحيي ميّت الكتاب والسنة» أي ما ترك من الكتاب والسنة ومات في ظاهر الأمور وانتفى سيحييه.

وقال ايضاً: «إذا قام القائم حكم بالعدل» كل إمام من الأئمة عليهم السلام له لقب فأميرالمؤمنين عليه السلام مثلاً: علي المرتضى، الإمام الحسن، الحسن المجتبى، الإمام الحسين: سيدالشهداء، والأئمة الآخرون: السجاد، الباقر، الصادق، الكاظم، الرضا، التقى، النقي، الزكي العسكري عليهم السلام والإمام الحجة له لقب خاص به، لقب أخذ من معنى القيام، يقوم في العالم (القائم) وفي الأصل نحن نعرف الإمام المهدي عليه السلام بالقيام والعدالة، كل إمام له صفة عرف بها وهذا الإمام عليه السلام عرف بالقيام والعدالة. «وارتفع في أيامه الجور وأمنت به السبل» أي ان الطرق البرية والبحرية والجوية تصبح آمنة لأن سبب عدم الأمن في هذه المجالات هو المضايقات وانعدام العدالة وعندما تقر العدالة، حيث ان فطرة البشر هي فطرة العدالة فلا وجه بعد كي يكون للا أمن وجود.

«وأخرجت الأرض بركاتها ولا يجد الرجل منكم يؤمنذٍ موضوعاً لصدقته ولا برّه... وهو قوله تعالى: **﴿والعاقبة للمتقين﴾**» أي أتدرون ما هو الضيق الذي

سيحصل للناس ذلك اليوم؟ ضيق الناس هو انهم لو أرادوا الصدقة والمساعدة لشخص فلن يجدوا شخصاً (مستحقاً) ولن يجدوا فقيراً. ويقول بالنسبة للتوحيد الإلهي «حتى يوحّدوا الله ولا يشرك به شيئاً» وحول الأمن يقول «وتخرج العجوزة الضعيفة من المشرق تريد المغرب لا يؤذيها أحد».[١]

كثير ذلك الذي قيل عن العدالة، والذي قيل عن الصفاء والسلام بالمعنى الواقعي والذي قيل عن الحرية والأمن الكاملين، وعن الثروة والبركة الواسعة، وعن تقسيم الثروة العادل، وعن توفر الوسائل ـ وسائل المحافظة على الحيوانات و غيرها ـ بشكل واسع وما قيل عن الفاكهة والغنم وعن انعدام المفاسد إذ لا شرب للخمر بعد ذلك ولا وجود للزنا، وسينفر الناس من الكذب، ينفرون عن الغيبة، ينفرون من التهمة، ينفرون من الظلم، هذه كلها على أساس أية فلسفة؟

أساسه ذلك الذي ذكرته: الإسلام يقول العدالة هي عاقبة البشر لكن ليست العدالة التي ستأتي في نهاية الأمر هي التي ينتهي إليها الفكر البشري، من أن منفعتي الشخصية هي حفظي لمنافع الآخرين. لا، (في ذلك الزمان) العدالة محبوبة البشر كأنها معبودهم أي تترقى أرواحهم وتتربى كاملاً وهذا لا يمكن إلاّ إذا حكمت العالم حكومة عادلة على أساس الإيمان، الإيمان بالله، ومعرفة الله وعلى أساس حكم القرآن، ونحن المسلمين لحسن حظنا اننا على خلاف هذا التشاؤم الموجود في دنيا الغرب في النظرة إلى البشرية فنحن متفائلون بمستقبل البشرية، فراسل هذا المتقدم ذكره يقول في كتاب (الآمال الجديدة): أغلب العلماء اليوم قد يئسوا

---

١ ـ نهج البلاغة الخطبة رقم ١٣٨.

من البشرية ويعتقدون ان العلم قد وصل إلى حد يوجب قرب القضاء على البشرية بواسطة هذا العلم، ويقول: أحد هؤلاء العلماء اينشتين، ثم يعتقد ان البشر لم يبق لهم إلاّ خطوة حتى يصلوا إلى قبر حفروه بأيديهم، والبشرية وصلت إلى مرحلة لا تحتاج إلا ضغط عدة أزرار والأرض تصبح كأنّها لم تكن شيئاً مذكوراً.

في الواقع، لو لم نكن مؤمنين بالله ويد الغيب ولولا اطمئناننا بما يدل عليه القرآن من أن المستقبل للبشرية، أي لو اننا قصرنا نظرنا على هذه الظواهر الدنيوية لرأينا أن الحق معهم فكل يوم يأتي تزداد وسائل التخريب قوة وهيبة ورعباً، منذ عشرين عاماً تقريباً عندما ألقيت القنبلة الذرية في هيروشيما حتى اليوم أنظروا كم هو الضعف الذي بلغته القدرة الصناعية البشرية التخريبية؛ وصلت إلى مرحلة بحيث يقولون ان الدنيا اليوم ليس فيها غالب ولا مغلوب فلو وقعت حرب عالمية ثالثة، الخاسر هو الأرض والبشرية ولا غالب أبداً.

لكن نحن نقول ان الأرض والبشرية لها مخلص من هذه المزالق، يد الله فوق جميع الأيادي ﴿وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا﴾[1] قالوا لنا «أفضل الأعمال انتظار الفرج»[2] وهذا تفاؤل، ولماذا انتظار الفرج أفضل الأعمال؟ لان ذلك ايمان في المرتبة العليا جداً.

إلهي إجعلنا من المنتظرين الواقعيين لفرج إمام الزمان عجل‌الله تعالى فرجه.

إلهي هب لنا لياقة ادراك دولة الحق.

---

١ ـ سورة آل‌عمران الآية رقم ١٠٣.

٢ ـ بحارالأنوار ج ٥٢ ص ١٢٢.

أللهم إنا نرغب إليك في دولة كريمة تعزبها الإسلام وأهله وتذل بـها النـفاق وأهله، وتجعلنا فيها من الدعاة إلى طاعتك والقادة إلى سبيلك.

وصلى الله على محمد وآله الطاهرين

القسم الثاني من الفصل الثامن:

المهدي الموعود (عجل الله تعالى فرجه)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، بارىء الخلائق اجمعين، و الصلاة و السلام على عبدالله و رسوله و حبيبه و صفيه و حافظ سره و مبلغ رسالاته سيدنا و نبينا، مولانا أبى القاسم محمّدﷺ و آله الطيبين الطاهرين المعصومين.

اعوذ بالله من الشيطان الرجيم:

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْئاً﴾[1]

استمراراً للبحث الذي ذكرنا في الاسبوع الماضي في هذا المجلس الموقر تحت عنوان العدل الكلي، و بمناسبة الولادة السعيدة للحجة ابن الحسن المقدس عجل الله تعالى فرجه نخص هذه الجلسة في البحث حول وجوده المقدس و بحثنا هذا اكثره تاريخي. يعني انني اريد في هذه الليلة ان اذكر قسماً من الامور المسلّمة في تاريخ الإسلام حول الإمام المهدي الموعودعليه السلام.

---

١ ـ سورة النور آية ٥٥.

يتخيل بعض الذين لا اطلاع عندهم في هذا المجال ـ و خصوصاً أولئك الذين لا يعتقدون بأصول و مباني التشيع و قرأوا شيئاً من الكلام في بعض الكتب ـ يتخيلون أن الإعتقاد بالمهدوية إنما بدأ من نصف القرن الثالث الهجرى تقريباً عندما ولد الإمام الحجة عليه السلام، و اريد أن اذكر أنّ هذا الموضوع منذ متى طرح و كيف سواء أكان بشكل تفصيلي أم بشكل اجمالي و عام وبنحو الاشارة.

المهدوية في القرآن و الاحاديث النبوية

ابتداءً: القرآن ذكر هذا الأمر كبشرىٰ بصراحة تامة، يعنى أن كل من يقرأ القرآن الكريم يرى أن القرآن الكريم قد ذكر في آيات كثيرة على نحو القطع أن تلك النتيجة التي تترتب على وجود الحجة المقدس، هي حاصلة في المستقبل و من تلك الآيات:

﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِن بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّـٰلِحُونَ﴾[1]

يقول تعالى في هذه الآية اننا في الماضى أخبرنا في الزبور ايضاً بعد أن كتبنا في الذكر ـ و قالوا ان المراد بالذكر التوراة أي بعد ان كتبنا في التوراة ـ نحن اعلمنا فإذن لا محالة ﴿أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّـٰلِحُونَ﴾ و ليس الكلام عن منطقة أو محلة أو مدينة، بل الفكرة واسعة و كبيرة إلى حد أن الكلام عن كل الأرض فلن تبقى الارض تحت سلطة الجبارين و الظالمين و الاقوياء بل هذا امر مؤقت وستتحقق في المستقبل دولة الصالحين و تحكم كل الأرض و ليس في الآية ادنى

---

١ ـ سورة الأنبياء، الآية ١٠٥.

ترديد في هذا المعنى.

كذلك الأمر بالنسبة إلى ما في القرآن من حديث عن أن الدين الإسلامي المقدس سيصبح الدين لكل البشر و تزول جميع الاديان الأخر في مقابلة و تمحق و هذا اثر أخر من آثار و نتائج وجود الإمام المهدي المقدس عليه السلام الموعود ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾[1] أى أن كل الانسان في هذه الدنيا سيتبع هذا الدين.

و هناك آيات اخرىٰ لكن اكتفي بهذا المقدار بعد أن لم يكن البحث حول آيات القرآن، نمضي من الآيات الى الأحاديث النبوية فماذا ذكر النبي الأكرم صلى الله عليه وآله في هذا المجال؟ هل ذكر شيئاً أم لم يذكر شيئاً؟ لو كانت روايات الإمام المهدي الموعود عليه السلام منحصرة بروايات الشيعة لكان هناك مجال لتشكيك المشككين بأنه لو كانت مسألة المهدي الموعود واقعية لوجب أن يقوله النبي الأكرم و لو قاله صلى الله عليه وآله لوجب نقله من قبل جميع الفرق الإسلامية مع انكم وحدكم رويتم هذه الروايات. و الجواب عن هذا الاعتراض واضح جداً: فإن الواقع أن روايات باب الإمام المهدي الموعود عليه السلام لم تنفرد بروايتها الشيعة و الروايات التي يوردها أهل السنة في هذا الباب ليست أقل من روايات الشيعة إن لم تكن اكثر، و قد صنفت الكتب في هذا المجال فاذا رجعتم إلى الكتب ترون أن الامر كما ذكرنا، في هذه السنين التي كنا فيها في قم صُنِّف كتابان احدهما للمرحوم آية الله الصدر (اعلى الله مقامه) طبعاً باللغة العربيّة باسم (المهدي) واعتقد أنه طبع. و ما ينقله في ذلك الكتاب من

---

١ ـ سورة الفتح الآية ٢٨.

روايات كلها من روايات اهل السنة، عندما يقرأ المرء يرى أن مسألة المهدي الموعود عليه السلام في روايات اهل السنة اكثر من روايات الشيعة و ليست أقل.

الكتاب الآخر و لحسن الحظ باللغة الفارسية هيىء بأمر من المرحوم آية الله السيد البروجردي واسمه (منتخب الاثر) الذي صنفه احد فضلاء الحوزة العلمية في قم و هو الآن ايضاً موجود في قم و هو الميرزا لطف الله الصافي من فضلاء قم البارزين (گلبايگانى) (و قد ألّف هذا الكتاب) في ظل ارشاد المرحوم آية الله البروجردي أي أنه اعطى الأمر بهذا الكتاب و عين موضوعه و شكله و رسمه ثم اهتمّ هذا الرجل الفاضل و كتب الكتاب، طالعوا أيضاً هذا الكتاب لتروا الروايات الكثيرة في المسألة و بشكل خاص من اهل السنة بمعان و الفاظ مختلفة، هذا. وكما لم يكن بحثي في آيات القرآن الواردة في هذا المجال كذلك ليس بحثي في الجهة الروائية من المسألة. و إنما اريد الحديث عن الموضوع من جهة اخرى وهي: ما هو تأثير هذه المسألة على التاريخ الإسلامي؟ عندما نقرأ تاريخ الإسلام نرى و بغض النظر عن الروايات الواردة على هذا الصعيد عن النبي الكريم صلى الله عليه وآله أو امير المؤمنين عليه السلام، نرى اساساً أن اخبار المهدي الموعود عليه السلام صارت منشأً لحوادث في تاريخ الإسلام ابتداءً من النصف الثاني للقرن الأول. إذ كانت تحصل احياناً سوء استفادة من مثل هذه البشرىٰ و مثل هذه الاقوال الواردة في كلمات النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، و هذا بنفسه دليل على أن مثل هذا الخبر قد انتشر بين المسلمين عن لسان النبي صلى الله عليه وآله و إلا لم يكن هناك مجال لسوء الاستفادات تلك.

بيان علي عليه السلام

و قبل أن أذكر أول حادثة تاريخية في هذا المجال أنقل جُمَلاً عن

اميرالمؤمنين علي عليه السلام ـ و هي موجودة في نهج البلاجُ ـ و قد سمعت من المرحوم آية الله العظمى البروجردى أن هذه الجمل متواترة أي لم يقتصر ذكرها في نهج البلاغة بل لها اسانيد متواترة، ففي حديث لامير المؤمنين عليه السلام مع كميل بن زياد النخعي (الذى بيَّن فيه اموراً في هذا الباب) يقول كميل: اخذ علي عليه السلام بيدى ذات ليلة (والظاهر أن ذلك في الكوفة) و اخذني معه إلى الصحراء «فلما أصحر تنفس الصعداء»[1] أي عندما وصلنا الى الصحراء أخذ نفساً عميقاً أي قال آهاً، صادرة من عمق القلب و أخذ يبرز ما في قلبه من آلام فيبدأ بالتقسيم المعروف «الناس ثلاثة فعالم رباني و متعلم على سبيل نجاة و همج رعاع» ثم يشكو فيقول لكميل: لم أجد رجلاً اهلاً لأن اقول له ما أعلمه، هناك اناس جيّدون لكنهم حمقى و هناك افراد اذكياء لكنهم بلا دين جعلوا الدين وسيلة للدنيا. قسَّم الناس ثم شكى الوحدة يقول لكميل: اشعر بالوحدة، أنا وحيد لا أجد رجلاً اهلاً و قابلاً لأن اقول له ما في قلبي من أسرار لكنه في النهاية يقول: «اللهمّ بلىٰ لا تخلوا الأرض من قائم لله بحجة إمّا ظاهراً مشهوراً وإما خائفاً مغموراً، لئلا تبطل حجج الله و بيناته. يحفظ الله بهم حججه و بيناته حتى يودعوها نظراءهم و يزرعوها في قلوب أشباههم.

ثورة المختار و الاعتقاد بالمهدية:

و اول مرة يظهر فيها اثر الإيمان بالمهدوية في تاريخ الإسلام هي حادثة انتقام المختار من قتلة الإمام الحسين عليه السلام، و لاشك في أن المختار كان رجلاً سياسياً

---

١ ـ نهج البلاغة الحكمة ١٤٧.

جيداً و نهجه قبل ان يكون نهج رجل دين و مذهب فهو نهج رجل سياسي طبعاً لااريد أن أقول أن المختار كان رجلاً سيئاً أو جيداً لا شغل لنا الآن في هذا الأمر. و كان المختار يعلم أن الناس لن تنقاد له لما يريد من عمل، و ان كان اخذ الانتقام من قتلة سيّد الشهداء أمر عظيم و لعله (بناء على رواية) اتصل بالإمام زين العابدين عليه السلام فلم يستفد فطرح مسألة المهدي الموعود التي اخبر بها النبي الكريم صلى الله عليه وآله باسم محمّد بن الحنفية ابن أمير المؤمنين و اخي سيّد الشهداء لأن اسمه محمد و قد جاء في الروايات النبوية «إسمه اسمى» فقال: ايها الناس انني نائب مهدي الزمان، ذلك المهدي الذي اخبر به النبي[1] فالمختار لعب سياسته مدة باسم النيابة عن مهدي الزمان. الآن هل أن محمّد ابن الحنفية قبل واقعاً بأنه المهدي الموعود؟ يقول البعض أنه قبل حتى يمكنه الأخذ بالثأر. إلا أن هذا غير ثابت نعم لاشك في أن المختار قد عرَّف محمّد بن الحنفية على أنّه المهدي الموعود ثمّ ظهر مذهب الكيسانيّة وعندما مات محمد بن الحنفيّة قالوا المهدي الموعود لا يموت حتى يملأ الأرض عدلاً. إذن محمّد بن الحنفية لم يمت بل غاب في جبل رضوى.

كلام الزهري

و في التاريخ الإسلامي حوادث أخرى ايضاً. يذكر أبوالفرج الأصفهاني وهو

---

١ ـ و ليلتفت ايضاً إلى انه في صدر الإسلام لم يعط أي علامة لزمان ظهور المهدي عليه السلام نعم بعض الخواص كانوا يعلمون انه فلان بن فلان بن فلان أي ان ما جاء في رويات النبي صلى الله عليه وآله بهذا المقدار فقط ان المهدي من آل البيت لابد أن يظهر، مقدار لم يرد عنه أي تشخيص لتاريخ الظهور.

اموى الأصل و مؤرخ غير شيعي في (مقاتل الطالبين) انه عندما وصل إلى الزهري[١] خبر استشهاد زيد[٢] بن على بن الحسين قال: «لماذا يستعجلون اهل البيت؟ و سيأتى يوم يظهر المهدي منهم» فيعلم أن كون المهدى الموعود من أولاد النبي صلى الله عليه وآله قطعي مسلَّم به إلى درجة انه عندما يصل خبر استشهاد زيد الى الزهرى ينتقل ذهنه فوراً اليه ويقول عن ثورة زيد: لماذا يستعجل أولاد النبي؟ يجب أن لا يثوروا الأن و ثورتهم هي للمهدي الموعود».. و لا اريد أن ابحث عن صحة اعتراض الزهرى و عدمه و ان كان اعتراضاً غير صحيح إلا أنّ الذي اريده هو هذه العبارة من الزهرى انه سيأتى يوم يثور فيه احد اولاد النبي صلى الله عليه وآله و ثورته تكون ثورة ناجحة و موفقة.

ثورة (ذى النفس الزكية) و الإيمان بالمهدوية

كان للإمام الحسين عليه السلام ولد اسمه الحسن ايضاً يقال له الحسن المثنى أي الحسن الثاني، الحسن بن الحسن، و الحسن الثانى صهر ابى عبدالله الحسين عليه السلام

---

١ ـ الزهري من اهل السنة، الزهري و الشعبي من التابعين أي من الذين ادركوا اصحاب النبي صلى الله عليه وآله و لم يدركوا النبي صلى الله عليه وآله و هما من كبار مشايخ و علماء عصرهم.

٢ ـ تعلمون أن للإمام زين العابدين عليه السلام ولدا اسمه زيد. ثار واستشهد، و يدور حول زيد أنه رجلٍ جيد أو غير جيد، كلام كثير لكن يستفاد من روايات الشيعة ان ائمتنا قد عظموا زيداً، و قد جاء في رواية الكافي أن الإمام الصادق عليه السلام قال: «والله ان زيداً لشهيد» و زيد هذا هو الذي ينسب اليه الزيديون أي الشيعة الزيديين الذين يحيون الآن في اليمن و كلهم أو اكثرهم يرون أنه الإمام بعد الإمام زين العابدين عليه السلام، و على كل حال فهو رجل جيد، رجل زاهد متقي و بناء على رواياتنا فإن قيامه كان للأمر بالمعروف و النهى عن المنكر، لا لإدعاء الإمامة و ما عليه نظرنا زيد رجل شريف صالح.

فإن فاطمة بنت الحسين زوجة الحسن المثنى فأولدا صبياً اسمه عبدالله و لأن نسبه يرجع إلى أمير المؤمنين عليه السلام و الزهراء عليها السلام من طرف الأم و من طرف الأب معاً فكان نسبه خالصاً، سمّي بعبد الله المحض أي أنه رجل علوى محض و فاطمي محض فمن طرف ابيه له نسب إلى علي عليه السلام و فاطمة عليها السلام و ايضاً من طرف امه. وكان لعبد الله المحض ولدان، اسم أحدهما محمّد و الآخر ابراهيم و زمانهما مقارن لأواخر العصر الاموي قريب سنة ١٣٠ هـ، و محمّد بن عبدالله المحض رجل شريف جداً عرف باسم (ذى النفس الزكية)، و قد ثار في أواخر العهد الأموي بعض السادات الحسينين ـ و هذا له بحث مفصل ـ حتى أن العباسيين بايعوا محمّد بن عبد الله المحض.

الإمام الصادق صلى الله عليه وآله دعي ايضاً الى هذه الجلسة و قالوا له اننا سنثور و نريد جميعاً أن نبايع محمّد بن عبد الله المحض فبايع، و انت سيّد الحسينيين، فقال لهم الإمام عليه السلام: ما هدفكم؟ إن كان محمد يريد الثورة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فانّني أؤيّده، أمّا إن كان يريد الثورة على أنه مهدي هذه الأمة فهو مشتبه فليس هو مهديّها بل المهدي شخص آخر ولن أؤيده على الإطلاق، و لعل الأمر قد اشتبه على محمّد بن عبدالله المحض إلى حدٍّ ما لأن إسمه إسم النبي و له خال على كتفه[1] فظن الناس أن هذه العلامة علامة انه المهدي و كثير من الناس بايعوه على أنه مهدي هذه الأمة. فعلم أن مسألة المهدي عليه السلام كانت قطعية بين المسلمين بحيث أنّهم إذا ثار رجل وهو على شيء من الصلاح يقولون هذا هو المهدي الذي أخبر به

---

١ ـ كان للنبي صلى الله عليه وآله ايضاً خالٌ على كتفه يسمونه ختم النبوة.

النّبي، فلو لم يكن هناك كلام من النّبيﷺ لم يكن ليصير الأمر كذلك.

خدعة المنصور الخليفة العباسي

حتى أننا نرى ان إسم الخلفاء العباسيين هو المهدي و هو ابن المنصور والخليفة العباسي الثالث فإن الخليفة الأول السفاح و الثاني المنصور و الثالث ابن المنصور المهدي العباسي و يذكر المؤرخون و من جملتهم «دارمستر»، أن المنصور قد تعمد أن يسمّى إبنه المهديّ حتى يستفيد سياسياً من ذلك بل حتى يتمكّن من خدعةِ جماعةٍ الناس و يقول: ذلك المهدي الذي أنتم في انتظاره هو ابني و لهذا يذكر في مقاتل الطالبين و غيره أنه في بعض الأحيان عندما كان المنصور يقابل خواصّه (يعترف لهم بكذبه بهذاالأمر) فعندما يلتقى مع مسلم بن قتيبة و هو من المقربين إليه يسأله عن محمّد بن عبد الله المحض، ماذا يقول؟ قال: انه يقول أنه مهدي هذه الأمة فقال له: هو مشتبه، لا هو مهدي الأمة و لا ابنى مهديّها لكنه احياناً أخرى عندما يقابل اشخاصاً آخرين يقول لهم: «ليس هو مهدي الأمة بل المهدي ابني» و ذكرت أن كثيراً ممن بايعوا محمداً بايعوا على هذا الأساس، إذن الروايات الواصلة عن النبي الأكرمﷺ في المهديعليه السلام كانت كثيرة و هذا الذي سبب الاشتباه لدى الناس إذ لم يحققوا تحقيقاً كاملاً كى ينالوا مشخصاتٍ اكثر فكانوا يؤمنون سريعاً بأن هذا مهدي الأمة.

محمّد بن عجلان و المنصور العباسي

كما أننانلاحظ أحداثاً أخرى في تاريخ الإسلام، منها: أن احد فقهاء المدينة

وهو محمّد بن عجلان «قد بايع محمّد بن عبدالله المحض، و بنو العباس بعد أن كانوا يدافعون عنه عندما تمكنوا من الخلافة استلموها ثم قتلوا السادات الحسينيين فطلب المنصور هذا الفقيه و حقق في أمره حتى ثبت له أنه بايع، فأمر بقطع يده قائلاً يجب أن تقطع هذه اليد التي بايعت عدوي قالوا: إن فقهاء المدينة اجتمعوا وتشفعّوا لذلك الرجل و قد برروّا له عمله بهذا النحو: قالوا يا أيها الخليفة إنه رجل فقيه عالم بالأخبار، و قد تخيل هذا الرجل أن محمّد بن عبدالله المحض مهدي الأمة و لهذا بايعه و إلّا فهو لم يقصد عداوته لك.

فالذي نراه في تاريخ الإسلام أن موضوع «المهدي الموعود» من المسائل المسلّمة جداً و هكذا كلما لاحظنا كل عصر نجد ظهور حوادث في تاريخ الإسلام ناشئة من هذا الإيمان بظهور المهدي الموعود، و كثير من أئمتنا عندما توفّوا ذهبت جماعة إلى أنه لعل الإمام لم يمت، ولعلّه غاب وقد يكون هو مهدي الأمّة. وهذا ما حصل مع الإمام الكاظم عليه السلام بل و مع الباقر عليه السلام و الظاهر أيضاً مع الإمام الصادق عليه السلام و كذلك الأمر بالنسبة لبعض آخر من الأئمة عليهم السلام.

كان للإمام الصادق عليه السلام ولد اسمه اسماعيل و هو الذي تنتسب إليه الإسماعيلية، توفي اسماعيل في حياة الإمام عليه السلام و قد كان عليه السلام كثير الحب لاسماعيل و عندما توفي اسماعيل غسله عليه السلام و كفنه ثم وقف عليه السلام حيث اسماعيل موسّد و نادى أصحابه ثم فتح الكفن و أراهم وجه اسماعيل ثم قال: هذا إبني إسماعيل قد مات فلا تقولوا غداً إنه مهدي الأمة و قد غاب فانظروا جثته و انظروا وجهه، اعلموا ثم اشهدوا.

هذا كله يدل على أن مسألة مهدي الأمة كانت قطعية بين المسلمين بحيث

لامجال للشك و الترديد فيها.

و في كل مورد حقّقت فيه إلى زمان ابن خلدون لم أجد حتى شخصاً واحداً من علماء الإسلام من يقول أنّ احاديث المهدي عليه السلام من أصلها بلاأساس بل قبل الجميع ذلك و إن كان هناك اختلاف ففي الجزئيات، هل المهدي هو هذا الشخص أم ذاك؟ و هل هو ابن الإمام الحسين عليه السلام، لكن في ان لهذه الأمة مهدياً و انه من اولاد النبي صلى الله عليه وآله و اولاد الزهراء عليها السلام، يملأ الأرض عدلاً بعدما ملئت ظلماً و جوراً فهذا الأمر فيه شك.

كلام دعبل

يأتى دعبل إلى الإمام الرضا عليه السلام و يقول له اشعاره الرثائية:

افاطم لو خلت الحسين مجدّلاً و قد مات عطشاناً بشط فرات

التي يخاطب فيها الزهراء عليها السلام و يبين المصائب الواحدة تلو الاخرى التي نزلت باولادها عليها السلام و هي تعتبر من القصائد العربية الغراء، و في اشعاره هذه و اظهاره لتأثره يعدّد دعبل قبور اولاد الزهراء عليها السلام، واحداً واحداً، فقبر في (فخ) و قبر في (كوفان) و يشير إلى شهادة محمّد بن عبدالله المحض المتقدم ذكره و يشير إلى شهادة اخيه و يشير إلى شهادة الإمام موسى بن جعفر عليه السلام (و قبرٌ ببغداد لنفس زكية) و هنا ذكروا أن الإمام الرضا قال له اضف اليه هذا الشعر الذي اقوله (و قبر بطوس يا لها من مصيبة) فقال له انا لا اعرف هذا القبر فقال عليه السلام هذا قبرى.

في هذه الاشعار يذكر دعبل بيتاً من الشعر يشير إلى موضوعنا حيث يصرح دعبل في هذا الشعر بان كل هذه القضايا ستبقى موجودة حتى ظهور إمام، هذا

الظهور الذي هو لا محالة واقع.

و إذا اردنا أن نأتى ايضاً بشواهد من التاريخ فإن هناك الكثير منها إلا أنه لالزوم لذكرها كلها لكم، و كان الغرض من ذكر تلك الشواهد القول أنّ مسألة المهدي الموعود كانت أمراً قطعياً و مسلماً به بين المسلمين منذ صدر الإسلام وزمان النبي الأكرم صلى الله عليه وآله و أنّها كانت منشأً لحوادث تاريخية كبرى منذ القرن الأول للهجرة.

الإيمان بالمهدوية في عالم السنة

و إذا اردتم أن تدركوا ان المسألة ليست مختصة بالشيعة[1] فانظروا إلى مدعى المهدوية، فهل كثر بين الشيعة فقط ام كان هناك منهم بين اهل السنة؟ فترون أن مدعي المهدوية، بين اهل السنة كانوا ايضاً كثر، احدهم المهدي السوداني او المتمهدي السوداني الذي ظهر قبل هذا القرن الأخير في السودان و قد أسس جمعية لازالت حتى هذه الأيام موجودة، أساساً هذا الرجل ظهر على اساس انه المهدي، أي ان الاعتقاد بالمهدي في تلك البلاد السنية ـ كان كبيراً إلى حد انه يسمح ببروز ادعاء كاذب بالمهدوية ـ و غيرها من البلاد الإسلامية فقد كثر مدعو المهدوية في الهند و باكستان، و القاديانيون ظهروا على اساس ادعاء المهدوية وقد جاء في رواياتنا انه سيوجد مدعون بالمهدوية كاذبون كثر و سيظهر دجالون يدعون ذلك.

---

١ ـ طبعاً الذي له اختصاص بالشيعة، هو تلك المشخصات التي لا يؤمن بها كل السنة و إن كان يقبلها البعض.

كلام حافظ

انا لا ادري هل ان حافظاً شيعي ام سني؟ و لا اعتقد ان أحداً بمقدوره القطع بكونه شيعياً إلا اننا نجد في أشعاره (اشارة الى هذه المسألة) و اذكر منها موردين أحدهما حيث يقول:

أين الصوفي، كالدجال عينه، كالملحد شكله

قل له احترق فالمهدي ملجأ الدين[١] أتى[٢]

و المورد الثانى حيث يقول بانسجام تام في غزله المعروف:

بشارة يا قلبي نفس كالمسيح يأتي

من انفاسه الطيبة رائحة شخص تأتي

فلا تتأوه من الغم و الألم

تفاءلت و مجيب النداء أتى

---

١ ـ بالفارسية:

كجاست صوفي دجال چشم ملحد شكل — بگو بسوز كه مهدى دين پناه رسيد

مژده‌اى دل كه مسيحا نفسى مى‌آيد — كه ز أنفاس خوشش بوى كسى مى‌آيد

٢ ـ

از غم ردر مكن ناله و فرياد كه دوش — زده‌ام فالى و فريادرسى مى‌آيد

زآتش وادى ايمن نه منم خرّم و بس — موسى اينجا به اميد قبسى مى‌آيد

كس ندانست كه منزلگه مقصود كجاست — اينقدر هست كه بانگ جرسى مى‌آيد

خبر بلبل اين باغ ميرسيد كه من — ناله‌اى مى‌شنوم كز نفسى مى‌آيد

و لست وحدي فرحاً من نار وادى (ايمن)

فموسى على أمل قبسٍ إلى هنا يأتي

لم يلتقِ احداً يرشده اين المنزل المقصود

ليس إلا أن صوت الجرس يأتي

يخبر بلبل هذى الحديقة أنى

اسمع أنات من قفص تأتي

كلماتي التي اردت ذكرها في هذا المجال و التي اردت ان يكون البحث فيها من الجهة التاريخية قد انتهت، كم هم كثر مدعو المهدوية الكذابون بعد زمان الحجة عليه السلام؟ و هذا بحد ذاته له قصته الخاصة، لااريد الدخول فيها لكن اريد ان اخصص نهاية كلامي بثلاثة مطالب أخرى:

هذا الذي ذكر من ان العدل الشامل يحصل بعد ان تملأ الأرض ظلماً وجوراً يتولد منه مسألة و هي أن البعض يعارض أي اصلاح اعتماداً منه على ذلك و يقول يجب ان تملأ الدنيا ظلماً و جوراً حتى تحصل الثورة فجأة و تمتلىء عدلاً. و لو لم يقولوا ذلك بلسانهم فإنهم في أعماق قلوبهم مخالفون (للاصلاح) و إن شاهدوا رجلاً يقدّم رجلاً في طريق الاصلاح يتأذون، و عندما يرون أن في المجتمع علامة على توجه الناس نحو الدين، يتألمون واقعاً و يقولون: يجب أن لا يحصل هذا الشيء بل يجب أن يزداد الأمر سوءاً حتى يظهر الإمام عليه السلام فلو أردنا أن نقوم بهداية الناس نحو الدين فنحن نخون الإمام الحجة عليه السلام و نؤخر ظهوره.

فهل ان الأمر واقعاً كذلك ام لا؟ سأقدم لكم توضيحاً حتى يكون الأمر معلوماً جيداً.

ما هي ثورة الإمام المهدي عليه السلام

بعض الحوادث في هذه الدنيا إذا وقعت لامجال لها إلا الانفجار تماما مثل الدمّل في البدن إذا ظهر. فهذا الدمل يجب أن يصل الى حد الإنفجار وأي عمل يمنع هذا الانفجار يكون مضراً و إذا اردتم استعمال دواء فيجب ان يكون دور الدواء الإسراع في تفجير الدمل.

بعض الفلسفات و التي يوافق عليها بعض الهيئات الاجتماعية و السياسية تؤيد الثورة بمعنى الإنفجار و يعتقدون أن أي شيء يقف في وجه الإنفجار ضرر و لذا نرى ان بعض المذاهب و الهيئات الاجتماعية معارضة تماماً لأي اصلاح اجتماعي و يقولون: ما هي هذه الاصلاحات التي تقومون بها؟ دعوها واتركوا المفاسد تزداد و العقد و الاحقاد تزداد و الأذى و الظلم يزداد و الامور تزداد اضطراباً، اضطراب من هنا و اضطراب من هناك و يتضارب الاساس من فوقه ومن تحته و تحصل الثورة.

و لفقهنا هنا موقف واضح، هل يجب علينا نحن المسلمين ان نفكر بهذا النحو نسبةً الى ظهور الإمام الحجة عليه السلام؟ و يجب أن نقول: دعوا المعصية والذنوب تزداد، ودعوا الأوضاع تصبح اكثر اضطراباً، إذن لانأمر بالمعروف و لانتهى عن المنكر ولا نربي اطفالنا بل علينا نحن انفسنا ان لا نصلي ـ والعياذ بالله ـ حتى ـ نساهم في ظهور الإمام الحجة عليه السلام و لانصوم و ان لانقوم بأى واجب و ندعوا الآخرين لترك الصلاة و نرغبهم بذلك و نرغبهم في ترك الصيام و ترك الزكاة و ترك الحج، و دعوا هذه الأمور كلها تزول حتى تتهيأ مقدمات الظهور؟

كلا، هذا بلاشك مخالف لأصل إسلامي قطعي! أي ان انتظار ظهور الحجة عليه السلام لا يسقط عنا أي تكليف، لا التكليف الفردي و لاالتكليف الاجتماعي، و لن تجدوا في الشيعة ـ حيث ان تلك النظرة لاتوجد إلا في العالم الشيعي ـ فضلاً عن أهل السنة عالماً يقول أن انتظار ظهور الحجة يسقط عنا أدنى تكليف، لايسقط أي تكليف عنا على الاطلاق. هذا نوع (من تفسير ظهور الحجة عليه السلام).

التفسير الأخر هو أن الكلام في الظهور و الاثمار لا في الانفجار كالفاكهة و هي في طريق نموها، فالفاكهة لها موقعها كما ان الدّمل لها موقعها لكن موقع الدمل حيث تنفجر فيه اما الفاكهة، فموقعها حيث تثمر أي إنها تطوي نموها و سيرها التكاملي و تصل الى مرحلة وجوب قطفها و مسألة ظهور الإمام الحجة عليه السلام هي بنضج الفاكهة اشبه منها بانفجار دمل أي ان الإمام عليه السلام إذا لم يظهر الى الآن فليس لأن الذنوب قلت بل لأن الدنيا لم تصل إلى مرحلة النضج و لذا ترون في روايات الشيعة الكثير منها يقول أنه عندما تتوفر تلك الأقلية التي يبلغ عددها ٣١٣ شخصاً فإن الإمام سيظهر، فإلى الآن لم يتوفر هذا العدد ـ أو الأقل أو الأكثر ـ أي يجب ان يتقدم الزمان بحيث من جهة ينتشر فيه الفساد و من جهة اخرى يظهر اولئك الذين سيشكلون الحكومة و يمسكون بزمام الأمور تحت قيادته عليه السلام و في ظل لوائه عليه السلام، و إلى الآن لم يوجد مثل هؤلاء الرجال المؤهلين لذلك في الدنيا، نعم «مالم يزدد الاضطراب لن يصل الأمر إلى حد الاستقرار» لكن بين اضطراب و اضطراب فرقاً فالدنيا لم تخل من اضطراب و من استقرار بعد اضطراب ثم يتبدل الاستقرار باضطراب لكنه اضطراب بدرجة أعلى لا الاضطراب الخفيف ثم يتبدل الاضطراب إلى استقرار و برتبة أعلى من الاستقرار السابق ثم يتلوه اضطراب

أشد من سابقه أي أن هذا الإضطراب الذين تلا ذلك الاستقرار يكون اقوى حتى من هذا الاستقرار و لهذا يقولون أن حركة المجتمع البشرى حركة حلزونية أي حركة دائرية ارتفاعية ففي نفس الحال الذي يدور فيها المجتمع البشرى فهو لايدور في افق واحد بل يدور إلى أعلى. نعم فالاستقرارات دائماً تميل إلى اضطرابات لكن هذا الاضطراب، فهو مع كونه اضطراباً إلا انه في رتبة أشد وبلاشك فإن دنيانا اليوم هي دنيا مضطربة و منطوية و ممزقة. دنياً خرجت عن سلطة يد الحكام الكبار لكن هذا الإضطراب الحاصل على مستوى العالم يفترق عن الاضطراب الحاصل في قرية من القرى فرق السماة عن الأرض. و نسبته الى الاستقرار في قرية من القرىٰ فرق السماء عن الارض، و نسبته الى الاستقرار في قرية من القرى بعد السماء عن الأرض، و هو أبعد عن استقرار مدينة من المدن بعد السماء عن الأرض ايضاً.

و لهذا فحيث أننا في نفس الوقت الذي نتحرك فيه نحو اضطراب فإننا أيضاً نتوجه نحو الاستقرار فلايمكن للإسلام أن يأمر (بترك كل التكاليف) و إلا لأمر بارتكاب المحرمات و ترك الواجبات، اتركوا الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر، لاتربوا ابناءكم، دعوا الفساد يكثر، أنتم الذين تصلون و تصومون وتأمرون بالمعروف و تنهون عن المنكر و تصنفون الكتب و تلقون المحاضرات وتبلّغون تريدون توسعة التبليغ، انتم الذين تريدون الاصلاح انتم تؤخرون ظهور الحجة. فهذه الاصلاحات تقرب من ظهور الحجة عليه السلام كما أن تلك الاضطرابات تقرب ظهوره، ابداً يجب أن لاتدخل مسألة انتظار ظهور الحجة إلى ادمغتنا بذلك النحو من أننا منتظرون فإذن يسقط ذلك التكليف ـ الصغير و الكبير ـ كلا لا يسقط

أي تكليف على الإطلاق.

هناك أمور أخرى لكن لا يسمح الوقت بالتعرض لها و عليّ أن انهي الحديث. لكن اذكر لكم أمراً و ليكن آخر المطالب:

المهدوية فلسفة عالمية كبرىٰ

اسعوا كى تكون افكاركم حول مسألة الإمام الحجة عليه السلام موافقة لما جاء في متن الإسلام، و نحن غالباً ما نتحدث عنها مثل أمل طفولي كرجل عنده عقدة يريد الانتقام فيقال ان الحجة عليه السلام فقط ينتظر متى يعطيه الله تعالى الاذن كى يأتي و يغرق شعب ايران في السعادة أو يغرق الشيعة في بحر السعادة و المقصود أولئك الشيعة الذين هم نحن ولسنا بشيعة، كلا تلك فلسفة عالمية كبرى مرتبطة بان الإسلام دين عالمي و بأن التشيع بمعناه الواقعى أمر عالمي فيجب أن نتلقى ذلك كفلسفة عالمية كبرىٰ، عندما يقول القرآن: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِن بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّـٰلِحُونَ﴾[1] إنما يتحدث عن الأرض، لا عن هذه المنطقة و تلك المنطقة و هؤلاء القوم و ذلك العرق.

فأولاً: الأمل بالمستقبل من أن الدنيا لن تفنىٰ و قد ذكرت مراراً أن هذه أوروبا اليوم ترىٰ ان البشر في تمدنهم وصلوا إلى مرحلة يحفرون فيها قبورهم بأيديهم وما هي إلا خطوة حتى يصلون الى ذلك، و ظواهر الأمور تعطي هذه النتيجة ايضاً لكن الاصول الدينية و المذهبية تقول لنا أن الحياة السعيدة للبشرية هي في

---

١ ـ سورة الانبياء، آية ١٠٥.

المستقبل و الأمر الموجود الآن مؤقت.

ثانياً: إن ذلك العصر عصر العقل و العدالة، و انتم تلاحظون أن للفرد مراحل ثلاثة عامة: مرحلة الطفولة و هي مرحلة اللهو و الافكار الطفولية، و مرحلة الشباب وهي مرحلة الغضب و الشهوة، و مرحلة العقل الرجولي و الكبر و هي مرحلة النضج و الاستفادة من التجارب، مرحلة الابتعاد عن العواطف، و مرحلة حكم العقل. و كذلك المجتمع البشرى، فالمجتمع البشرى له ثلاث مراحل لابد من طيّها: المرحلة الاولى: مرحلة الاساطير و الأوهام و بتعبير القرآن مرحلة الجاهلية. المرحلة الثانية: مرحلة العلم لكن علم و شباب يعنى مرحلة حكم الغضب والشهوة فعلى أي محور يدور عصرنا؟ و إن أجرى الإنسان حساباً دقيقاً يرى أن المحور الذي يدور زماننا حوله إما الغضب أو الشهوة.

فعصرنا هو قبل كل شيء عصر الانفجار (أي الغضب) و عصر (الميني جيب) (أي الشهوة) . ألن تأتي مرحلة تكون مرحلة حكومة غير حكومة الأساطير وغير حكم الغضب و الشهوة و الانفجار (و الميني جيب)؟ مرحلة في الواقع تكون مرحلة المعرفة و العدالة و السلم و الإنسانية و المعنوية و حكم هذه الأمور؟ كيف يمكن أن لاتأتي مثل هذه المرحلة؟ أما يمكن لخالق هذا العالم والذي خلق البشر على انه اشرف المخلوقات أن لايوصل البشرية إلى مرحلة بلوغها و يقلب البشرية رأساً على عقب دفعة واحدة؟

إذن المهدوية فلسفة كبرى جداً، و انظروا المعاني التي لدينا في الإسلام كم هي راقية؟ و قد قرب شهر رمضان و ستوفقون لدعاء الافتتاح و تقرؤنه في ليالى شهر رمضان المبارك، و هناك قسم كبير من أخر هذا الدعاء مختص بوجود الإمام

الحجة المقدس و سأقرأه لكم و أجعله دعائي:

اللهم إنا نرغب إليك في دولة كريمة تعز بها الإسلام و أهله و تذل بها النفاق وأهله و تجعلنا فيها من الدعاة إلى طاعتك والقادة إلى سبيلك. الهي اجعلنا من الذين تشملهم رحمتك و عنايتك في الدنيا و الآخرة.

إلهي نقسم عليك بذاتك المقدسة و بحقيقة أوليائك الكرام ان تجعلنا من الذين يليق بهم هذا الأمل الكبير.

الفصل الثامن:

القسم الاوّل: العدل الشامل ٢١٥
تعريف العدالة ٢١٩
هل ان طلب العدالة فطري؟ ٢٢٠
رأي نيتشه وماكيافيلي ٢٢١
رأي برتراند راسل ٢٢٢
نقد هذه النظرية ٢٢٣
رأي الماركسية ٢٢٤
رأي الإسلام ٢٢٤
مسألة عمر الإمام الحجة عليه السلام ٢٢٦
مميزات عصر الإمام المهدي عليه السلام ٢٢٩
المهدي الموعود عليه السلام ٢٣٥
المهدوية في القرآن و الاحاديث النبوية ٢٣٦
بيان علي عليه السلام ٢٣٨
ثورة المختار و الاعتقاد بالمهدية ٢٣٩
كلام الزهري ٢٤٠
ثورة (ذى النفس الزكية) و الإيمان بالمهدوية ٢٤١
خدعة المنصور الخليفة العباسي ٢٤٣
محمّد بن عجلان و المنصور العباسي ٢٤٣
كلام دعبل ٢٤٥

الإيمان بالمهدوية في عالم السنة..... ٢٤٦
كلام حافظ ٢٤٧
ما هي ثورة الإمام المهدي عليه السلام ٢٤٩
المهدوية فلسفة عالمية كبرى..... ٢٥٢